

فضح سطوة الدولة البوليسية وقسوة القانون الجائر

«التصريح» دراما جريئة عن منع امرأة من مغادرة إيران



«التصريح» فيلم جديد يتميز بالجرأة والقوة ووضوح الرؤية، مناهض للثقافة السائدة في المجتمع الإيراني كما أصبحت في ظل الانغلاق الفكري والتشدد التشريعي بدعوى حماية القيم والأخلاق العامة من خلال قيود تستهدف أول ما تستهدف، المرأة.



فيلم «التصريح» The Permission حسب عنوانه الإنجليزي أو «عزق بارد» حسب العنوان الأصلي الفارسي، هو الفيلم الروائي الطويل الثاني للمخرج سهيل بيراعي. وهو شأن موجة الأفلام الإيرانية الجديدة التي برزت منذ الثمانينات، يسيّر على نهج الواقعية الصارمة، مع لمسات تتميز بالطرافة والجدّة والإبداع، من خلال السرد تتابع قضية فردية محددة، يكشف الفيلم أولا عن جوانبها المتعددة ويجعلها مثالا لمشكلة مجتمع كامل، ثم يكشف ثانيا عن الكثير من الجوانب الداخلية الخفية التي ترتبط بالموروث، وكيف تلقي بظلالها الكثيفة على واقع إيران المعاصرة.

رغم أسلوب السرد الواقعي لحالة امرأة تعاني من القهر في مجتمع بطريركي، إلا أن الفيلم يلجأ أيضا إلى الإثارة والتشويق من خلال بعض ما يقع من مفاجآت وما يتجلى عن مطاردات بل واعتداءات مباشرة على المرأة، في مفاجأة غير متوقعة في فيلم إيراني حديث، كما يشير، ولو من طرف خفي، إلى ما يعاني منه الرجل من كبت اجتماعي يصيب نفسه بشرخ خطير يجعله يتماهى في ابتكار وسائل الإيذاء والانتقام مستخدما القانون الراسخ الذي يستند أصلا إلى «الموروث» الديني.

يبدو فيلم «التصريح» كما لو كان امتدادا لفيلم إيراني آخر شهير هو «تسلل» (2006) Offside أفضل أفلام جعفر بناهي الذي لم يصنع بعده سوى نوع من «البروباغندا» المناهضة التي تلاقي التشجيع والترحيب في الغرب لأسباب سياسية فقط.

أفروز منعت من السفر ليس نتيجة قرار سياسي، بل بسبب وجود قانون يسمح للزوج بالاعتراض على سفر زوجته

نيلوفار آردلان، التي كانت قائدة ولاعبة خط الوسط في المنتخب النسائي الإيراني لكرة قدم الصالات والتي فوجئت بمنعها من السفر بناء على طلب زوجها عام 2015 عندما كانت في طريقها لتمثيل بلادها ضمن منتخب كرة القدم النسائية. فمن هذه القصة استمد سهيل بيراعي سيناريو فيلمه وجعله يدور حول شخصية بطله فيلما، وهي تمارس لعبة كرة قدم الصالات المغلقة المسموح بها في إيران.

هذه المرأة تدعى في الفيلم «أفروز» (باران كوساري)، وهي قائدة المنتخب الإيراني النسائي. وعندما يصل المنتخب إلى نهائيات كأس آسيا ويذهب أفراد الفريق إلى المطار للمغادرة للمشاركة في النهائيات التي تقام في كوالالامبور بماليزيا، فتأجأ أفروز بانها ممنوعة من السفر بناء على طلب زوجها «ياسر» (امير جديدي).

وبينما يسافر أعضاء الفريق تبقى أفروز وزميلة لها وكذلك المشرفة على الفريق التي تقرّر البقاء لمحاولة حل هذه المعضلة، خاصة وأن أفروز هي أفضل لاعبات الفريق ووجودها ضمان للفوز. منعت أفروز من السفر ليس نتيجة قرار سياسي بل بسبب وجود قانون يسمح للزوج - الرجل بالاعتراض على سفر زوجته. أما أسباب تعنت الزوج فيكشف عنها الفيلم تدريجيا من خلال الأحداث التي تتعاقب، والمواقف الدرامية التي تتداعى.

وخلال ذلك يكشف الفيلم كيف تتحاز السلطة القضائية دائما إلى الرجل، وكيف تتأمر المسؤولة عن الفريق من أجل عرقلة سفر أفروز، ليس فقط تضامنا مع الزوج الذي يتمتع بوظيفة مرموقة، بل خشية أن تقبل أفروز عرضا للاتحاق بناد في إسبانيا ومن ثم إغراء الانشقاق عن إيران والذهاب إلى إسبانيا حيث يمكنها طلب اللجوء هناك، وكشف ما يرتكبه النظام القائم في إيران، وكلها أفكار يتم التعبير عنها بوضوح وبشكل مباشر في الفيلم وليس من خلال التورية.

الأمل في السفر الذي سيحوّل إلى مشكلة

وتتملك 100 دار للعرض في أنحاء إيران مما يترك تأثيرا كبيرا على ما يمكن أن يحققه الفيلم من إيرادات. إلا أن اتحاد السينمائيين الإيرانيين أصدر بيانًا انتقد فيه موقف تلك المؤسسة، ومقاطعتها غير القانونية للفيلم، كما نشرت بعض الصحف الإيرانية مقالات تنتقد فرض رقابة داخلية من قبل مؤسسة غير مخولة بذلك على الأفلام قبل عرضها في شبكة دور العرض التابعة لها. وردت المؤسسة على ذلك بالقول إن فيلم «التصريح» لا يتناسب مع قيم الأسرة الإيرانية.



الفيلم الإيراني يسيّر على نهج الواقعية الصارمة، مع لمسات تتميز بالطرافة والجدّة والإبداع في نقد المجتمع الذكوري

ورغم البيانات التي صدرت عن الممثلين والمخرجين والعالميين في صناعة السينما عموما اعتراضا على موقف «حوزه هوناري» إلا أن الحظر استمر بدعوى أن الفيلم يتضمن مناظر «مفيرة جنسيا». ولكن دور العرض الأخرى قررت تمديد عرض الفيلم لتعويض الخسارة المالية المتوقعة، وأدى الجدل الذي ثار في الصحافة حول الفيلم، إلى زيادة الإقبال عليه. ومن جانبه حضر التلفزيون الرسمي الذي يسيطر عليه المتشددون عرض أي دعاية للفيلم، وعندما احتج المخرج طالبوه بتقديم مقدمة دعائية دون أن تظهر فيها الممثلة باران كوساري، وهو ما رفضه المخرج، ومعروف أن التلفزيون الإيراني يقاطع الممثلة كوساري منذ أن شاركت في تأييد الإصلاح حسين موسوي في احتجاجات عام 2009.

وقد وقع كل هذا الجدل رغم فوز الفيلم بجائزتين في مهرجان فجر السينمائي الإيراني الذي يمثل التيار المنفتح في الثقافة الإيرانية. ولا يزال الصراع بين التيارين مستمرا وإن كان يظل محصورا في نطاق معارك صغيرة.

الذكر. ويبيّن خبثها وكذبها ومحاولة عرقلة محاولات أفروز الحصول على دعم من اتحاد الكرة وكيف تنصح رئيس الاتحاد بشطب أفروز، وهو ما يحدث في نهاية الأمر.

يتميز الفيلم بإيقاعه السريع، والتدرج في التصعيد الدرامي، والتصوير الجيد في الأماكن الطبيعية، والاعتماد على مصادر الضوء الطبيعية في المشاهد الداخلية، والتصوير الصعب الذي يجسب الشخصية الرئيسية داخل السيارات في اللقطات القريبة (كلوز أب) لكشف المشاعر التي تنعكس على وجه أفروز وردود فعلها تجاه ما يقع لها. يرتفع أداء الممثلة باران كوساري في دور أفروز بالفيلم ليحمله إحدى الكلاسيكات بل وإيقونة جديدة سيصبح لها شأن كبير في السينما الإيرانية، فالممثلة تتمتع بوجه بسيط جذاب، متمكنة من التفاعل مع المواقف المختلفة والتعبير عن الرقة المشاعر في هدوء وثقة وتماثل مدهش مع الشخصية التي تؤديها.

المعلومات التي تظهر على الشاشة في النهاية تقول إنه تم منع 8 رياضيات إيرانيات في عام 2015 فقط من مغادرة البلاد بناء على طلب أزواجهن. ولكن كما لعب فيلم «تسلل» دورا في تخفيف قبضة السلطات والسماح للنساء أخيرا بحضور مباريات كرة القدم في الملاعب، دفع فيلم «التصريح» عددا من عضوات في البرلمان الإيراني إلى التقدم بتعديل قانوني يسمح بشكل استثنائي بسفر النساء العاملات في مجال الرياضة والفنون تحديدا، ولكن ليس كل النساء، فالمشاور لا يزال طويلا.

أصدقاء الفيلم
عندما عرض الفيلم في إيران (أواخر 2018) هاجمه أنصار التيار المتشدد، وقاطعته مؤسسة «حوزه هوناري» وهي مؤسسة ثقافية وفنية تستند إلى الخطاب الدعائي الرسمي وتنتقل دعما حكوميا

بل وتاليب الرأي العام أيضا عندما تلجأ أفروز إلى نشر فيديوها تفضح فيها ما يحدث معها أمام الرأي العام، وكيف يحتشد وراءها ويدعمها عدد كبير من المتفاعلين.

في مشهد المحكمة عند نظر قضية الطلاق، تتراجع محامية متطوعة عن أفروز أمام قاض لا نراه ولكننا نسمع صوته فقط. يبدو بلا سلطة حقيقية أمام جبروت الزوج وعنده، فهو لا يملك سوى أن يسأله لماذا لا يطلق زوجته طالما أنه يشكو من سوء معاملتها له، ولماذا لا يسمح لها بالسفر طالما أنه لا يريد لها وأنها لا تقم معه؛ لكن ياسر يقول بوضوح إن القانون في صفه وأنه غير مرغم على تقديم أسباب بل ويبيدي

تسمكه بزوجه ووجه لها. ويعتمد المشهد بالكامل على الأداء التمثيلي البليغ من جانب الممثلين الثلاثة. انفعالات محكمة تتصاعد بحسب، وحوار بارع مكتوب بحيث يعكس بدقة ملامح الشخصية من الداخل، كما يكشف أزمة المجتمع بأكمله من دون خطابة أو مباشرة فجأة بل من خلال الكشف عن القيود القائمة التي تلقي بظلال كثيفة على علاقة المرأة بالرجل.

كشف التناقضات

يخلق المخرج سهيل بيراعي مقارنته تعكس التناقض بين تسمح ياسر بالدين وحديثه الدائم عن قيم المحبة والتسامح في برنامجه التلفزيوني بل واستضافته (على الهواء) امرأة لاعبة في منتخب كرة القدم تتحدث عن تمثيلها إيران في الخارج بفضل تفهم زوجها ودعمه لها، كما تقول، وبين موقفه الفظ المتشدد من زوجته، فهو لا يرفض حق السفر بل يقوم بمطاردتها بسيارته في شوارع طهران ويصلطم سيارتها من الخلف لترويعها، ثم يطردها من المنزل الذي استأجره لها ويلقي بأشياءها الخاصة في الشارع. كما يكشف الفيلم نقا ميرهانه التي تشارك بانتظام في إحدى جمعيات ذكر آل البيت، حيث تشترك مع مجموعة من النساء في الغناء وترديد وصلات

ياسر الزوج الشاب، نجم تلفزيوني يقدم برنامجا اسمه «الأيام القديمة الجميلة» يستخدم فيه الخطاب الديني ويصطنع التقوى والسورع في حين أنه في الحقيقة ينتقم انتقامه الخاص بكل شراسة من أفروز التي انفصلت عنه منذ سنة وترغب في الطلاق، لكنه يرفض الطلاق لكي يهينها ويذلها فقط لأنها خرجت عن إرادته، والقانون لا يسمح للمرأة بطلب الطلاق، والزوج يرفض خروجها من البلاد والقانون لا يرغمه على تقديم أسباب لذلك الرضا، وعندما تقبل بالتنازل له أمام القاضي عن أي حقوق مقابل الطلاق وعلى أن يتركها تسافر يوافق ويوقع على الأوراق لكنه يقوم بتمزيق الأوراق فور مغادرتها مبنى المحكمة ويلقيها في وجهها أمام الجميع في الشارع، وهو مشهد يصل فيه الصراع بين الرجل والمرأة إلى ذروته الدرامية، وإلى ذروة الواقعية التسجيلية من حيث الأسلوب.

براعة السيناريو

كما هي عادة أفلام السينما الإيرانية الجديدة (فيما بعد عباس كياروستامي)، يقوم الفيلم على سيناريو مكتوب جيدا، متوازن في طرحة، يتيح مساحة جيدة لكل شخصيات الفيلم، يكشف تدريجيا من مشهد إلى آخر، عن تفاصيل الحكمة. وعلى الرغم من تصدّر شخصية أفروز الأحداث، لا يهمل السيناريو الشخصيات الثانوية: شخصية المشرفة المتشددة «مهراة» (سحر دولتشاهي) التي تؤكد على الابعات كما نرى في المشهد الأول المثير لمباراة تجري في إيران، ضرورة عدم الكشف عن أذرعهن وضبط أغلبية الرأس بحيث تخفي الشعر تماما، ثم تتضامن مع ياسر في موقف المزمّت إزاء سفر زوجته نجمة المنتخب، رغم أنها تدرك أن وجودها سيضمن الفوز، وتقل أهمية الفوز من أجل حماية صورة النظام، فهي تمثل السلطة السرية التي تفرض الهيمنة السلطوية وتعاوي فكرة النجومية خفية أن تصبح ميراا للتعاطف الدولي الخارجي، خاصة بعد أن تبدأ أفروز في نشر رسائل احتجاج على مواقع التواصل الاجتماعي.

وتسعى مهراة أيضا لتاليب أقرب صديقات أفروز عليها، بل وتغريها بنقلها من صفوف الاحتياط إلى اللعب في مكان أفروز إن تخلت عنها ووشت بها وقدمت لمهراته الرسائل المتبادلة بينها وبين مسؤول في النادي الإسباني الذي عرض عليها الانضمام. ويبرز الفيلم كثيرا دور وسائل التواصل الاجتماعي: تويتر ويوتيوب وواتساب وإنستغرام، وكيف تملك الفتيات القدرة على التخاطب من خلالها

فرحة النصر في الملعب



طرفا الصراع أمام القضاء